أولاد الحارة القديمة

نسرين أبو صلب

تزوجت صغيرة، ولم أحصل على شهادة الثانوية، فتعلمت بعد الزواج مهنة التصوير التي عملت فيها مدة 15 سنة، مكتفية بها ومقنعة نفسي بأنها مهنة جيدة، وأجني منها نقوداً وهذا يكفي، ولا داعي لأتابع تعليمي.

لكن في أحد الأيام سمعت عن دورة يمكن أن أتمكن من خلالها بأن أصبح مساعدة معلمة لذوي العسر التعليمي. فسجلت فيها، وما أن قطعت جزءً كبيراً منها حتى علمت بأن من لا تملك شهادة الثانوية العامة فإنها لن تتمكن من الالتحاق في سلك التعليم. كانت صدمة كبيرة لي، ماذا سأفعل؟

في اليوم التالي الذي تأكدت فيه من صحة الخبر، ذهبت أبحث عن مركز ما أستطيع أن أسجل فيه لأتلقى تعليماً خاصاً وأتقدم لامتحان الثانوية العامة. كان هذا بتاريخ لا يمكن أن أنساه، إنه يوم 2012/11/28، حيث شاءت الصدفة أن ألتقي بأحد الأشخاص المسؤولين عن أحد المراكز، ويدعونني إلى الالتحاق بمركزهم الذي سيبدأ في هذا اليوم أولى دوراته الخاصة بالثانوية العامة للفصل الدراسي الثاني.

هنا بدأت بداية جديدة، لكنه كان عبئاً كبيراً جداً علي، فأنا ما زلت منتسبة للدورة الأولى من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الساعة الواحدة ظهراً، وكان عليّ بعد ذلك مباشرة أن أتوجه إلى المركز، وأتابع دورات الصف التوجيهي من الساعة الواحدة وحتى السادسة مساء. لم يكن بالأمر السهل، حيث كان من المفترض أن أتلقى في هذه الفترة تدريباً عملياً مدته 200 ساعة تدريبية في أحد المراكز لذوي الاحتياجات الخاصة، كتتمة للمتطلبات الخاصة بالدورة، حتى أحصل بعدها على الشهادة، فاضطررت حينها أن أتوجه إلى أحد المراكز، وطلبت التحدث إلى مديرها ووضعته في صورة ظروفي بأنني أستكمل دراستي الثانوية، وأمر بوقت صعب جداً، ولا أستطيع الالتزام بالتدريب العملي في هذه الفترة، وبما أنني بحاجة إلى الشهادة، تعهدت إليه بأنني بعد الانتهاء من تقديم امتحانات التوجيهي، فإنني سأعود لاستكمال ساعات التدريب، إضافة إلى سنة إضافية أتطوع فيها للعمل مجاناً مقابل أن يوقع لي بانني استكملت عنده ساعات التدريب المطلوبة مني.

تقدمت لامتحان التوجيهي، ولكنني لم أحصل على معدل يؤهلني للالتحاق بالجامعة، لكن الشهادة معي أخيراً، وتمكنني، إضافة إلى الشهادة الأخرى، أن أكون مساعدة معلمة في التخصص الذي أحببته «ذوي الاحتياجات الخاصة». كذلك وفيت بوعدي لصاحب المركز الذي تعهدت له بالعودة واستكمال ساعات التطوع التي أدين

له بها، وفعلاً عدت، وبدلاً من أن أمكث سنة، عملت أربع سنوات متتالية دون أي أجر، لأنني أحببت العمل كثيراً عنده، وحصلت على خبرة كبيرة، وكذلك كان بإمكاني الالتحاق بدورات تدريبية كثيرة عن طريق المركز، دون أن أدفع أي مقابل، وهذا اعتبرته مكسباً كبيراً لي.

حاولت بعد هذه الرحلة أن أتقدم بطلبات عمل للكثير من المدارس، لكنني لم أحظَ بفرصة عمل بأيٍّ منها، بدعوى أن شهادتي لا تكفي للعمل لديهم، فنصحتني أختي أن ألتحق بإحدى الكليات المعترف بها في منطقة القدس، التي تمكنني، خلال سنتين، من الحصول على شهادة دبلوم يؤهلني للعمل بمنطقتي، وحتى تدعمني أكثر، قامت بإهدائي القسط الأول.

مرت السنتان بسرعة، وحصلت على شهادة دبلوم، وأخيراً وجدت عملاً في إحدى رياض الأطفال.

عندما كنت صغيرة كنت أحب الهدايا كثيراً، ولكنني لا أذكر أنني حصلت على أيٍّ منها في طفولتي. عندما تزوجت، عشت في إحدى حارات القدس القديمة التي كانت تسكنها عائلات كثيرة من النسب نفسه، وأنا كنت غريبة بعض الشيء عنهم وعن عاداتهم التي بدأت التعرف عليها مع الوقت، وإحداها كانت أن يقوم كل أطفال هذه الحارة في صباح اليوم الأول من العيد بطرق أبواب البيوت، والحصول على العيدية التي تكون صاحبة البيت قد حضرتها مسبقاً لهم.

طرقوا الباب وكانت المرة الأولى، ماذا أعطيهم وأنا تلك التي لم أعطَ يوماً هدية في طفولتي؟ بحثت كثيراً في البيت عن أشياء أهديها لهم، ولم أجد سوى السكاكر وبعض الحلويات، عرفت حينها بأنه تقليد وتنبهت في العيد التالي بأنني يجب أن أكون جاهزة لهم، فجمعت الهدايا وانتظرتهم وقدمتها لهم، وما زلت حتى يومي هذا أشتري الهدايا وأحضرها مسبقاً، وانتظر العيد ليطرقوا باب بيتي ويفرحوا بهداياهم. لم يعد عددهم قليلاً كما كانوا في السابق، بل أضيف إليهم أبناؤهم بعدما تزوجوا وما زالوا يمارسون ذلك التقليد.

أحببت دوماً صناعة الدمى التي كانت إحدى هواياتي المفضلة، كنت أجمع كل ما يقع تحت يدي من أشياء يمكنني إعادة تدويرها وصناعة دمية جديدة منها، حتى شاركت في أحد الأيام في معرض فني عرضت فيه كل منجزاتي الفنية التي نلت عليها جائزة أفخر بها.

أعتبر نفسي موهوبة في مجال الفنون، ونشيطة حيث أحب المشاركة في أي دورة يمكنني الانتساب لها، وكذلك أتصف بالصبر والقدرة على التحمل، إلا أنني أعتبر حظي قليلاً في مجال العمل، حيث حتى يومي هذا لم أحصل على الوظيفة التي رغبت في الحصول عليها. لكنني لم أفقد الأمل، وسأبذل جهدي لتحقيق حلمي.

دورة «القطان» كانت إحدى أغنى الدورات التي حصلت عليها، ورشحتني لها روضة كنت قد بدأت العمل فيها، فقد ساعدتني على تطوير نفسي في مجالات عدة، وعلى أن أسير على أساس متين وبخطوات ثابتة، استطعت أن أكتسب مهارات وأفكاراً جدية، وبخاصة في مجال توظيف الدراما في التعليم، الذي أعتبره أحد أنجع الطرق لتعليم ذوي الاحتياجات الخاصة.

روضة نور القدس-القدس

جانب من تطبيقات المربية نسرين أبو صلب مع أطفالها في روضة «نور القدس» في القدس.